

# التحذير من القنوط من رحمة الله

ونعرف أيضا أن الإنسان في هذه الدنيا عليه أن يحتقر أعماله ولو بلغت ما بلغت، وعليه مع ذلك ألا يقنط من رحمة الله، ولا يياس من روح الله ولا يأمن من مكر الله، فإن ذلك كله من الكفر أو من العصيان، قال الله تعالى: { وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } ؛ يعني القنوط هو قطع الرجاء، يعني أن الإنسان عليه ولو عمل المعاصي أن يعلق رجاءه بربه، وأن يثق بمغفرته ورحمته، وأن يعتمد على الله، وألا يقنط من رحمته ولا يياس من روحه. قال الله تعالى: { وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْكَافِرُونَ } اليأس هو أيضا قطع الرجاء أي عدم الثقة بالله وبمغفرته بأن يعمل عملا سيئا ثم يصر وكأنه يقول: إنني قد عملت أعمالا لا تصل إليها مغفرة الله، فيصر عليها ولو هدد بالعذاب. ذكر لنا عن كثير من العصاة أنهم مصرون على المعاصي، وأنهم مستمرين عليها صغيرة أو كبيرة، وأنهم قد تصل بهم تلك المعاصي إلى الكفر أو إلى الفسوق، إذا نصحهم الناصح وخوفهم وذكرهم يقولون: نحن من أهل العذاب نحن لا حاجة لنا في المغفرة، والعياذ بالله. نحن من أهل النار، قد اطمأنت نفوسهم إلى العذاب والعياذ بالله. إذا قيل لهم: لا تخافون من شدة العذاب؟ فيقول أحدهم والعياذ بالله: إذا كانت النار فيها ألوف الألوف فأنا واحد منهم، أصبر كما صبروا أصبر على النار وأصبر على العذاب ولو عذبت ما عذبت، فليست وحدي في النار؛ بل النار مليئة بأمثالي فيقطع رجاءه. هذا والعياذ بالله من الذين قنطوا من رحمة الله { وَمَنْ يَقْنُطْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ } نقول للإنسان: إن عليك أن تقبل على الله، وأن تتوب إليه، وأن تستغفر وتعلم أن ربك سبحانه { يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ } ولو عملت ما عملت من السيئات، فإنك تحت مشيئة الله تعالى وتحت غفرانه. فأما كون الإنسان يصر على السيئات، ويستمر على الكفر وعلى الذنوب الكبيرة والصغيرة، ويقطع رجاءه من رحمة الله تعالى ومن مغفرته -فإن ذلك من الإقدام على عذاب الله. ومن يصبر على عذاب الله سبحانه؟ من الذي يطيق الإحراق في النار؟ إذا تذكرنا شدة عذاب النار كيف يصبو الإنسان على ذلك؟ ويقول الله تعالى: { وَتَحْسُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ } ؛ يعني في النار { عُمِيًّا وَبُكْمًا وَضُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا } من الذي يصبر على ذلك، أنهم يحشرون على وجوههم على هذه الصفة. يقول الله تعالى: { كُلَّمَا تَصَدَّتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ } من الذي يصبر على مثل هذا العذاب؟ لا شك أن هذا إنما يصبر عليه المعذبون الذين يقال لهم: { قَاضِرُوا أَوْ لَا تَصِيرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِمَّا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ } نعوذ بالله، فنقول: إنك أيها العاصي مهدد بالعذاب، وإن عذاب النار عذاب شديد. النار حرها شديد وقعرها بعيد، وطعام أهلها الزقوم، وشرابهم المهل والصديد، وعذابهم أبدا في مزيد، ولباسهم القطران والحديد؛ كما أخبر الله تعالى بذلك. أخبر بأنهم يعذبون فيها، وأنهم يقولون: يا مالك قد أثقلنا الحديد، يا مالك قد تمزقت منا الجلود، يا مالك قد تفلجت منا الكبود، يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود، يا مالك العدم خير من هذا الوجود. يتمنون الموت فإذا كان كذلك فكيف يقدم العاقل على هذه النار الذي هذا عذابها وهذا شدة ألمها، ولكن لما طمست الأعين وطمست القلوب، وعميت الأبصار كان هؤلاء لا يبالون بالإصرار على هذه المخالفات والسيئات، ولو كان قد رتب عليها هذا العذاب الشديد.